(٦) نسخ

الفصل الاول

مفهوم الضبط الاجتماعي

تطور مفهوم الضبط الاجتماعي

اشكال الضبط الاجتماعي

اهداف الضبط

النزعة الاجتماعية والضبط

التاثير والضبط الاجتماعي

مفهوم الضبط الاجتماعي Social Control

يعدّ موضوع الضبط الاجتماعي من بين الميادين المختلفة التي تناولها علماء الاجتماع عندما تعرضوا الى طبيعة واشكال الظواهر وأنماط الأفعال والسلوك والضروب الاجتماعية الأخرى التي يمكن إخضاعها للبحث والدراسة تحت هذا الميدان المعرفي والعلمي .

ويرجع تاريخ بلورة هذا المفهوم كحقل مستقل من حقول علم الاجتماع الى القرن 19 التاسع عشر عندما نال شعبية بعد نشر كتاب عالم الاجتماع الامريكي " روس " Ross تحت عنوان الضبط الاجتماعي . كما استخدم هذا الاصطلاح رجال القانون من المحامين عندما تبناه العلامة " باوند" Roscoe Pound في إشارتهم الى عملية المطابقة بين الفرد وبين النظام الاجتماعي .

وقد وجد " روس " خلال بحثه في موضوع الضبط الاجتماعي كميدان مستقل من علم الاجتماع ان الدارونية الاجتماعية Social Darwinism تستخدم هذا الاصطلاح للاشارة الى علاقة الفرد بالمجتمع وما تتسم هذه العلاقة من ضروب من الصراعات والتوترات بينهما . وهذا ما دفع " روس " الى افتراض وجود قوى اجتماعية تدفع الى الانسجام والتكامل ما بين الفرد والمجتمع وتكمن هذه القوى في القدرة الاجتماعية Sociability الموجودة في طبيعة النظام الاجتماعي والتي نعني بها العدالة والمساواة والمحافظة على طبيعة هذا النظام . (1)

واستخدم اصطلاح الضبط الاجتماعي في أدبيات علماء الاجتماع ولاسيما في اشارتهم الى عملية الانتظام والاتساق بين الفرد وبين النسق القيمي والمعياري الذي يسود مجتمع من المجتمعات . ووضحوا ان عملية عدم الانتظام تخلق توترات وصراعات سواء بين الافرد او الجماعات . فالضبط الاجتماعي من وجهة نظر علم الاجتماع هو عملية اتصال وتواصل بين ما هو مغروس (2) من إرث اجتماعي في طبيعة النظام الاجتماعي وبين الجماعات الاجتماعية لأجل تحقيق الاستقرار والانسجام في الحياة الاجتماعية .

ويعني الضبط الاجتماعي إدامة النظام وشيوع الاستقرار داخل المجتمع من خلال استخدام وسائله المتعددة والمتخصصة كالدساتير Codes والمحاكم Courts او الشرطة. ويتسع استخدامه ليظم السيطرة على المؤسسات المختلفة التي يضمها المجتمع والتي تتداخل فيما بينها كالمؤسسة الدينية (3) والسياسية , والتربوية , والترفيهية الي غيرها من المؤسسات الاخرى لاجل تحقيق الاستقرار والتوازن داخل المجتمع .

فالضبط الاجتماعي اصطلاح جمعي يشير الى الأفراد الذين يدخلون في العمليات المخططة وغير المخططة التي بوساطتها يلقن الافراد عملية الإقناع أو الاجبار compelled لأجل تحقيق المطابقة بينهم وبين ما هو مستخدم من قيم في الحياة الاجتماعية. (4) فالضبط الاجتماعي هو الآليات التي يمارس المجتمع سيطرته على مكوّن الأفراد , وإدخال المطابقة للمعايير والقيم بين الافراد وثقافة المجتمع .

ولقد أدّى وليم كراهام سمنر (Sumner 1840-1910) أحد علماء الاجتماع في كتابة الطرق الشعبية (Flokways 1906) عملا مشابهاً الى روس Ross . وأعتبر " سمنر " السلوك الجيد

Manners والعادات Customs والاخلاق Morals هي مؤشرات للضبط الاجتماعي . وتعلق " سمنر " بطريقة خدمة المستويات المعيارية وتأمينها لمطابقة الفرد مع المجتمع . فالطرق الشعبية بالنسبة الى استخدام هذا المفهوم وكما يراها " سمنر " هي العادات Habits والتقاليد Customs المنتظمة ذاتياً في الأجيال المتعاقبة . وكما يعتقد سمنر هي المسؤولة عن ضبط سلوك الافراد على نطاق واسع .

وحاول " أميل دوركهام " أن يفسر الضوابط الاجتماعية بالعوامل الخارجية . وركز في اعماله على المعايير الاجتماعية التي تدخل على الافراد من الخارج وتصبح حقيقة داخلية يعيشها الفرد اجتماعيا . فالضبط بالنسبة الى " دروكهام " هو ضرب من ضروب الإلزام الاخلاقي , وعلى الفرد ان يطيع القواعد الاجتماعية , ويقبلها طواعية لتصبح واجباً من الواجبات المفروضة عليه أكثر من كونها ضغوطاً خارجية . وتشكل هذه الطلبات من المجتمع نمطاً أخلاقيا للأفراد وعناصر أساسية لشخصياتهم .

وقادت هذه الآراء " دوركهايم " الى الاعتقاد بأن استدخال هذه المعايير الى ضمائر الافراد ولتصبح جزءً من شخصياتهم التي هي متطلبات مجتمعية وعناصر مهمة للضبط الاجتماعي لتوافق الأفراد مع المجتمع .

أما جورج " هربرت ميد " (1863-1931) Mead وكذلك " سيجموند فرويد " 1939(Freud-1856) قد وسعوا مفهوم الاستدخال Internalization للمعايير الاجتماعية . وناقش " جورج هربرت ميد" تصور الذات الاجتماعية self - image والأنا me معتقدا أن هذا التصور ينمو خلال التجارب الاجتماعية , ومن خلاله يصبح الفرد مهتما في توقعات الأخرين. فالموقف في رأيه هو القدرة على تمييز الآخرين . وهذا التصور عندما يصبح داخلياً يقود الفرد الى تشكيل تعميمات نحو الاخرين . وفي ضوء هذا السلوك فإن توقعات الآخرين في المجتمع تشكل خاصية مشاعر الافراد فالتكوين لهذه المشاعر هو مجتمعي وليس فردياً.

أما فرويد Freued فهو يشبه " ميد " Mead الى حد كبير في نظرته الى تكوين الذات العليا superego وكذلك " بيجيه " إذ يرى أن استدخال المعايير المجتمعية تتضمن ضوابط للحوافز وذلك من خلال دمج التوقعات عن الاخرين في البناء النفسي psychic structure أما " بيجيه" Jean Piaget في تناوله لعملية الاستدخال للمعايير فينطلق من عملية الحكم الأخلاقي للطفل من حيث ان الاستقلال للأحكام الأخلاقية تبين عنده عندما تبدأ عملية التعاون في العلاقات الاجتماعية بينه وبين الاخرين . وعندما تبدأ علمية الاستدخال هذه على اساس سلطوي اي سلطة الآباء على الاطفال فقد تقود هذه العملية الى المطابقة في العلاقات الاجتماعية. وإن عدم المطابقة قد يظهر عندما يكون هناك تباين معياري داخل المجتمع. فنموذج الأخلاق الفردية تتأتى من نماذج البناء الاجتماعي التي بوساطتها يضم الفرد الى هذه العملية. (5)

إن عملية الضبط الاجتماعي هي ميكانيزم mechanisms يجهز المجتمع بالنظام العقلاني rational order لتنظيم حياة الأفراد . وقد لا يكون تأثير الضبط في المناطق الحضرية أقل مما هو الحال في المجتمعات التقليدية وإذا كان هناك اختلاف فهو قد يكون في الشكل. وينظر "بارسنز " Parsons الى الضبط على أنه واقع ومقيّد شعوريا ولا شعوريا ويكافئ بالمطابقة والثبات ويعاقب الانحراف عن المعايير . وهناك نتيجتان للتأثير والقصد intentionality للضبط وفي بعض

المضامين كضبـــط الجريمة , فالنتيجة الاولى هي ان التأثيرات يمكن ان توضح لنا النجاح والفشـــل للسياسة العامة . أما النتيجة الثانية للمؤثرات فهي توضح لنا القوة لأشكال الضبط أي من ناحية تأثيرها أو ضعف تأثيرها على الاخرين .

وحـاول الذين كتبـوا في ميدان الضبـط الاجتماعي معرفة هذه العملية فيما اذا كانت مقـصودة أم غير مقصودة من المؤسسات الموجودة في المجتمع . فهدف وتشجيع المؤسسـات الاجتماعية لهذه العملية هي تنظيم عملية التوحد والمطابقة لمجموعة القيم والتي تشكل بناءً متميزاً لهذه المؤسسـات وتتم ما بين قيم الافراد وهذه المؤسسات عن طريق عملية التنشأة الاجتماعية او عندما يكون هناك تهديد لعملية الارتبـاط ما بين الافراد والمؤسسات الاجتماعية . لذلك هناك اعتقاد ان اصطلاح الضبط هو معقد ومتداخل .

ولقد وضح " روس " Ross في معالجته للنظام الاجتماعي social order ان الانسـان لديه بـعض الخصائص , كالعواطف , والقابليات الاجتماعية للتأقلم sociability . وناقش الرأي العام , والقانون , والآداب , والدين , والعقـائد , والتربـية , واعتبـرها ميكانيزمات اجتماعية سـاعدت على إدامة النظام الاجتماعي . فالضبـــط هو الهيمنة ascendancy على الأهداف , وأفعال الأفراد , ويمارس الفرد هذه الوظيفة بجانب الجماعة . فالضبط ليس سبب طارئ وإنما هو غائي purpose وقد يكون في بدايته نوع من الشعور . وهو محفوظ في أداة وهو مؤسسي شكلي, ومدعوم برغبة المجتمع وبواسطة الوكالات الموجودة في ذلك المجتمع . وقد يكون هذه التعريف للضبـط غير مقنع لأنه لم يأخذ صفته العالمية , لذلك نجد " روس " ميّز بـين الضبـط الاجتماعي , والتأثير الاجتماعي, فالأول هو مقـصود وغرضه الفعل الاجتماعي , أما الثاني فيمثل غوغاء العقـل والمودة . وأظن أن هذا الرأي يمثل الشـعور الجمعي عند " دوركهايم " والقانون والتربية , ونظام المعتقدات (6).

إذ من النادر ان تحقق كل ثقافة المطابقة مع أفراد المجتمع بـاكمله فالأقـليات من السكان مثلا تختلف عن الجماعات المسيطرة والضابـطة في كلا المعايير الاجتماعية , وكذلك ضبـط القـوانين . على أنّ الضبـط الاجتماعي ليس مقيدا بالضرورة للمجتمع أو الفرد . فالاستغلال Exploitation قد يؤذي الكثيرين . ويحـصل خلط بـين الأهداف العامة و الفعاليات الفردية وبـين المجهودات لتنظيم الولاءات والعادات , والتخلف الثقافي , والصراع العقلي , والاستقرار العاطفي , والاضطراب العصبي , وحتى الاضطراب العقلي psychosis . فالأفراد الذين يميلون نحو العدوانية قد يعانون من الضبط الاجتماعي في جماعة تحـب السـلام والأستقـرار . وإن تأثير الضبـط الاجتماعي في مجتمع ديمقـراطي , او سـلطوي authoritarian في طبيعته قد تكون فاشلة او ناجحة . وإن المصلحة من الضبـط هو رد الفعل ضد القرارات التطورية .(7) والثقافة الحديثة المعقدة اصطحبت بجهود نشيطة لتأمين التوحد للسلوك . فالتوجه لمثل هذه الثقـافات هو تأمين الألفة مع الطرائق المؤثرة لأجل التأثير على السـلوك . فالأنظمة الشمولية ركزت على الضبط الاجتماعي وقد وصل فيها الضبـط الى درجة عالية وهذا واضح في توجيه الدولة وإطاعة تعليماتها . وبالمثل وبعد زيادة التعقيد الثقافي فإن إلغاء الحاجة الى الضبـط الاجتماعي (8) ولاسيما شدة استخدامه أصبح غير مرغوب فيه , لأن الفرد في مثل هذه المجتمعات ونتيجة لعملية التنشئة الاجتماعية صار مدركا لما مسموح فيه وممنوع منه .

فالضبط الاجتماعي هو من الوسائل والاستراتيجيات التي تستخدم لمنع الانحراف في السلوك البشري. وهناك مستويات مختلفة تظهر فيه هذه العملية . ويتعلم وينشأ الفرد على المعايير الرسمية وغير الرسمية

التي تتحكم في السلوك . (9)
ويعتمد كل نسق من أنساق الضبط الموجودة في المجتمع على الجزاءات التي قد تكون إيجابية أو سلبية . فالايجابية منها هي المكافآت التي يحصل عليها الافراد نتيجة الافعال التي تبرهن أي الافعال التي تتجه الى إعادة إدخال الدافع الى الفعل بطريقة مبرهنة . وقد تكون هذه المكافآت مادية ولكن هي في الأعم الأغلب معنوية . (10)

أما الجزاءات السلبية كالحرمان deprivation حيث يعاقب الفرد عندما يسلك سلوكاً غير متفق عليه . فالعقاب على السلوك غير المبرهن هي جزاءات سلبية , كتعليق الحقوق , أو عدم منح التسهيلات التي تدخل على الفرد عندما يكون الفعل غير متفق عليه .

وهناك طريقة أخرى لتصنيف العقوبات . وهذا التقسيم ينطوي على العقوبات الخارجية والداخلية . فالجزاءات الخارجية هي الافعال للآخرين التي ترتبط مع الافعال التي هي مبرهنة وغير مبرهنة .

أما الجزاءات الداخلية internal sanctions فهي إما ان تكون ايجابية أو سلبية. ففي حالة كونها سلبية تعني ان الشخص الذي يعمل خطأ في أعين الاخرين هو ايضا خطأ في نظره , وإن خبرته حسب مشاعره غير المرضية هو نتيجة للإثم والخجل والندم الذي يشعر منه أو الاتهام للنفس self-accusation .

ومن جانب آخر فان الشخص قد يستمر في افعاله وان الشخص الذي حوله غير واضح وغير مبرهن عليه بسبب أن الإدانة الداخلية inner conviction على ان هذا الشخص المستمر في أفعاله هو الصحيح والآخر غير المبرهن هو الخطأ. فهناك بعض القضايا التي تتسم بالتطرف كالإدانة الدينية او الوطنية patriotism أو السياسة , او الشخصية قد تجهزنا بجزاءات داخلية ايجابية حيث يتمكن الافراد في الاستمرار في أفعالهم متحدين اتجاه العداءات , والتهديدات التي يواجهونها . أن نسق الضبط الاجتماعي هو ان تكون فيه الجزاءات الداخلية أكثر فاعلية لأن العقوبات الخارجية قد تكون مخربة للوقت والجهود والتي هي قد تكون مستحيلة أدبياً. (11)

تطور مفهوم الضبط الاجتماعي :

استخدم الباحثون قديما وحديثا مفهوم الضبط الاجتماعي في الاشارة الى ضبط وتوزان السلوك البشري في المجتمع. فالضبط و في المجتمعات البسيطة ذات الاشكال البدائية موجود وله قوة وفاعلية potent في تنظيم السلوك الاجتماعي والثقافي . فكل فرد يعيش في مجتمع بسيط أو معقد مغطى ومطوق enveloped بمنهاج من الضوابط ومنذ ولادته حتى وفاته .

ونوه عنه إفلاطون في كتابه الجمهورية عام 369 ق. م عن فكرة ضبط السلوك الانساني ولاسيما عندما تطرق الى وظيفة الحكومة وإشرافها على المدينة في تحقيق النظام الاجتماعي الامثل. وظن أنّ الحاجة الانسانية هي التي تدفع الى الاجتماع المنظم . ويرى أن ليس هناك لزوم لأن ينفرد بالحكم واحد بعينه لان العدالة تقتضي كما تقتضي منفعة الدولة نفسها بأن تكون الايدي التي يوكل اليها امر هذا العبء هو الهيئة فهي الجديرة بحمله ورعايته ومثل هذه السلطة لا تتميز بالإسراف في القوة ولا الاسراف في الحرية . إذ من الافضل كما يعتقد إفلاطون ان تتولى طبقة الفلاسفة الحكم كجماعة ولا ينفرد واحد منهم بالمجد والسلطان . ويقتضي من هذه الهيأة التبصر وتتخذ الضمانات الكفيلة في عدم التورط بنشوة الحكم

وسوء استعمال السلطة . (12) فوظيفة الضبط الاجتماعي عند إفلاطون هو المحافظة على توازن . وتكامل المجتمع لاجل تحقيق العدالة الاجتماعية .

وتحدث مؤسس علم الاجتماع الحديث " اوكست كونت " Comte في مجلده الفلسفة الوضعية (1830-1842) لاسيما في دراسة المجتمعات الانسانية في حالة استقرارها. وهذا واضح في تحليله الى الستاتيكية وتأثر الفرد في الجماعة . ولقد قلل " روس " من اهمية تاثير السلوك الحشدي crowed behavior في الحياة الاجتماعية . وركز على الغرائز الاجتماعية social instincts , ومسألة التعاطف sympathy الموجودة عند الإفراد , والقابليات الاجتماعية, والعدالة , والوسائل التي تضغط بواسطتها الجماعة على الفرد لتحقيق التكامل والمطابقة لاسيما في أزمنة الأزمات ليلتزم الأفراد ويمتثلوا الى العادات الشعبية . والآداب mores . وعلى الرغم من أن هناك اهمالاً واضحاً للغرائز الاجتماعية عند الباحثين الذين كتبوا في موضوع الضبط إلا انّ وسائل الضبط الاجتماعي استمرت وأخذت حيزاً لا يستهان به عندهم . وركزوا على موضوع القوة وكيفية استخدامها كأداة ضبط لاسيما عندما يواجه المجتمع ضرباً من ضروب الأزمات. إن تفعيل القوة في مثل هذه الوضعيات قد تبعد حالات التفكك أو التأزم للأنساق المختلفة التي يتكون منها المجتمع . ودرس " روس " موضوع الضبط الاجتماعي دراسة منهجية منظمة وتبعه في هذا الميدان " جارلس كولي " Cooley الذي استحسن ما كتبه " روس " حول موضوع الضبط واعتقد بأمكانية فهم السلوك البشري عن طريق دراسة تاريخ حياة الافراد .

أمّا " وليم كراهام سمنر " Graham Sumner فقد كان من بين الكتاب الذين تعرضوا لموضوع الضبط الاجتماعي , معتقداً انه لا يمكن فهم السلوك الاجتماعي من غير دراسة الطرق الشعبية , والآداب mores , والمؤسسات institutions , والاحكام القيمية , وغيرها وهي اشكال لتنظيم قواعد السلوك للجماعة , وضوابط للسلوك البشري . فالاشكال الثقافية , والاجتماعية هي المسؤولة عن تنظيم استجابة الافراد , وتقرير اتجاهات عمل الضوابط الاجتماعية والتي من خلالها نزيد من عملية تشجيع استقرار السلوك الاجتماعي , وعلى الرغم من أن " سمنر " قد عالج موضوع الضبط الاجتماعي معالجة عرضية , إلا أنه وضح لنا كيف أن الطرق الشعبية والمؤسسات لها دور في عملية الضبط الاجتماعي . وكان يرى ان المجتمع يتكون من ثلاثة عناصر هي الفرد , والعائلة والدولة , غير ان الفرد في ذاته لا يعتبر عنصراً اجتماعياً, فالقوة الاجتماعية مستمدة في حقيقتها من تضامن الافراد واتحادهم ومشاركتهم في العمل وتوزيع الوظائف فيما بينهم . أما القوة الفردية الخالصة فلا تبدو إلاّ في قوته الطبيعية وليس هناك قيمة لهذه القوة عدا في حالة كون الفرد يعيش وحيداً أعزلا . على أن ليس هناك قيمة لقوة الفرد العقلية والاخلاقية لأن هذه القوى لا تظهر إلا بمشاركة غيرها من القوى واتحادها معها . أو قد تكون وليدة الضمير الجمعي والتضامن الاخلاقي في المجتمع(13) وعندما تطرق كونت الى الازمات التي يواجهها المجتمع كالتمرد , او الثورات اعتقد أن القضاء على هذه الازمات الاجتماعية لا يمكن السيطرة عليها الا من خلال وضع تربية اجتماعية سليمة. (14) وهذا النظام التربوي الذي دعا اليه كونت هو أحد الوسائل المهمة في عملية الضبط الاجتماعي , والذي يهدف على عدم التهاون في النزعة الانانية الموجودة عند بعض الافراد وهذه النزعة التي يمكن ان تخلق ضربا من ضروب الشقاق بين الافراد .

وناقش كل من سمول Small وكذلك فنسنت Vincent عام 1894, تأثير السلطة على السلوك البشري وجاءت ملاحظتهم بأن القادة يتأثرون بصورة كبيرة بواسطة اتباعهم ويتحددون بهم . كما أن ردّ الفعل للرأي العام على السلطة يجعل من الضبط الاجتماعي مهمة صعبة ودقيقة.

وطور "روس" Ross الألماني كتابا في حقل الضبط الاجتماعي , ويكاد يكون هذا الكتاب الاول من نوعه في هذا المجال عام (1901) وكان "روس" مديناً في انجازه لهذا العمل الي صديقه ومستشاره لستر وراد Lester F. Word مثنياً على معالجته للضبط كعملية اجتماعية تساعد على تحديد السلوك . كما وعن طريق الآداب يمكن أن نتعرف على ما هو مقبول, ونشجب condemnation او نمنع ما هو غير مرغوب. (15) واعتقد بأن الكبار من الجيل الاول هم أكثر خبرة في الحياة الاجتماعية ويستحقون ممارسة السلطة والضبط في أي جماعة بدائية . فالسلطة العقلانية تقود الى استخدام العادات من قبل كبار السن في المجتمع . لذلك تعتبر العادات custom ملزمة وبقوة في توجيه الحياة الاجتماعية . فالابناء يجدون آباءهم يمارسون عادات معينة وهم مطيعون لهم في استخدامها وممارستها في الحياة اليومية . (16) فالطرق الشعبية والآداب التي يمارسها الجيل القديم على الجيل الجديد هي عملية ضبط وتوجيه للسلوك البشري في مثل هذه المجتمعات . وقد تكون في شدتها , وقوتها في المجتمعات التقليدية , والبسيطة موازية لشدة وقوة القوانين الوضعية في المجتمعات الحديثة .

أشكال الضبط الاجتماعي

يتخذ الضبط أشكالاً مختلفة لأجل تحقيق المطابقة بين الأهداف العليا للمجتمع والأفراد الذين يعيشون داخل المجتمع . فقد تكون بعض الأشكال ذات فاعلية في مجتمع معين دون غيره من المجتمعات الأخرى أو قد تخلق بعض الأشكال للضبط وذلك حسب أوضاع المجتمع وما يحتاجه لأجل تحقيق التوازن والمطابقة بين الأنساق المختلفة التي يضمها المجتمع .

وأولى علماء الاجتماع اهتماما كبيرا في دراستهم للضبط الاجتماعي إلى العادات customs والرأي opinion , والقانون , والدين , والأخلاق , والتربية , والأسرة وغيرها كضوابط مهمة وذات فاعلية في توجيه السلوك البشري . وأولى المهتمون منهم بعملية الضبط الاجتماعي أهمية خاصة إلى دور الجماعة الاجتماعية والممارسات التي تتركها على أعضائها لأجل مساعدتهم على انتظام وتكامل سلوكهم مع بعضهم البعض ومع الجماعات المختلفة التي يتكون منها المجتمع لأجل المحافظة على توازنه وتكامله واستقراره .

ويقابل وسائل الضبط هذه هو انتظام السلوك بواسطة القوة حيث لا يمكن فصل هذين النمطين من الأساليب بسهولة في الحياة العامة . فهناك عقوبة للقانون , والرأي العام , والعنف الغوغائي mob violence كما قد يكون الإكراه coercion في استخدام القوة عندما يراد تحقيق العدالة داخل الجماعة .

ويؤكد "بارسنز" Parsons أن الإجبار الطبيعي physical coercion في توازن العلاقات الاجتماعية يكاد يكون مهمل كليا , وتستخف المجتمعات بدور القوة في تنسيق العلاقات الاجتماعية . وهناك دور للشرطة , والوسائل الأخرى المختلفة بجانب الديمقراطية في تكامل هذه العلاقات في الدول الحديثة . ويعزى "بارسنز" العنف violence , والغلبة conquest والاضطهاد oppression إلى عدم الانتظام في العلاقات الاجتماعية . (17) ويفوض كل مجتمع جماعات معينة لتشرف على عمليات الضبط الاجتماعي فالجيش , والشرطة , والقضاة , والمحاكم هي وكالات وظيفتها الإسهام في ضبط وتوجيه السلوك الاجتماعي. فكل الذين يستخدمون في مثل هذه المؤسسات هم أدوات لدى الدولة هدفهم إدخال الضوابط لحراسة المجتمع من الانحراف , والجماعات التي لا ترغب في المطابقة مع

المجتمع . و هناك وكالات أخرى تساعد الأفراد للامتثال و الضبط كوكالات التنشئة كالمتخصصين بالخدمة الاجتماعية , و المدرسين , و المتخصصين بالطب النفسي وكذلك المخططين الاجتماعيين الذين يعتبرون رموزا غير مرئية ولكنهم لا يختلفون عن الجيش و الشرطة(18) في وظيفتهم التي يمارسونها في الضبط الاجتماعي وتحقيق التوازن و الانتظام في الحياة الاجتماعية .

فالمجتمع الحديث هو مجتمع مرتب ومنظم ويتكون من مؤسسات وكل مؤسسة او تنظيم فيه يمثل نسقاً له من القوة و التأثير على الأفراد. و هناك اعتقاد من قبل الباحثين بأن ضبط المؤسسات الاجتماعية هي عملية تتضمن التخطيط لأجل إشباع الأهداف , وتغذية النظم و هذه المؤشرات للإشباع تضعف الانحراف في أفعال الأنساق . ويعتمد الضبط الاجتماعي على القواعد , و الإجراءات في هذه المؤسسات , وتجبر وتلزم عملية الضبط انجاز الاعمال وما تتوقعه من انجاز للأفراد . و التركيز على الضبط في النسق هو زيادة قدرة التأثير على تنظيم و اتساق النسق . (19)

وتقسم وسائل الضبط بصورة عامة على ما يأتي : -

1- الضبط الطبيعي physical - ويعبر عن هذا النوع من الوسائل في استخدام قوة السلاح , او الضرب بالسوط whip وما يتركه من آثار على الجسم , و استخدام القيود الطبيعية هو ضبط طبيعي من حيث قوة التأثير , ويوصف هذا النمط من الضبط بالقوة القسرية coercive power

2- الضبط المادي Material - ويتضمن هذا الضرب من ضروب الضبط استخدام الوسائل المادية ويوصف بقوة المنفعة utilitarian power

3- الضبط الرمزي Symbolic - ويعني كل الاستخدامات التي لا تضم التهديد الطبيعي , أو المكافآت المادية . فهو يتضمن الرموز المعيارية Normative symbolic , كالهيئة, والسمعة , والرموز الاجتماعية كالحب , والقبول . وتمارس هذه القوة المعيارية الذين هم في أعلى المناصب لأجل ضبط الذين هم دونهم . ويستخدم هذا النوع من الضبط بصورة غير مباشرة عندما يلجأ إلى التحكيم من الذين هم في أعلى المناصب ويترتب على الجماعات الثانوية أو التابعة عملية الضبط . (20)

وتستخدم القوة لأجل الضبط حسب المناصب Rank المتشارك فيها والتي لها القدرة على الضبط . ومثال على ذلك محاولة الهرب لسجين انفرادي فالحارس إما أن يعاقب أو يكافأ عندما يلقي القبض على السجين . كما قد تكون طريقة الضبط في بعض المؤسسات الاجتماعية قسرية , أو نفعية في أحيان أخرى . وتتمثل القسرية منها بالسجون , والمستشفيات المتخصصة بالأمراض العقلية . أما النفعية فتتمثل بالضبط بين ذوي الياقات الزرقاء أو بين ذوي الياقات البيضاء كما هو الحال في مؤسسات التأمين , أو الموظفين الحكوميين . و هناك نمط آخر من الضبط هو الضبط المعياري الذي يتمثل في المؤسسات الدينية , والأحزاب السياسية , والجامعات , والمؤسسات الطوعية . (21)

وتغرس بعض أشكال الضبط الاجتماعي في أذهان الأفراد وعقولهم وقد تتخذ جانب العنف والقسر coercive أو قد لا تكون قسرية لكنها لابد أن تكون مقبولة عند جميع أفراد المجتمع. فعندما يسلك الأفراد نمطا معينا من السلوك قد لا يتعلق بالبيئة التي يعيشون فيها بعدّها مرجعاً معرفياً لهم في المسموح وغير المسموح . إن المرجع لهم هو ماذا يعرفون او ماذا يعتقدون عندما يريدون ان يتبنوا ضربا من السلوك . فهناك علاقة وثيقة بين الأفكار والسلوك وكذلك بين كليهما وبين المجتمع , ويأخذ الفرد معظم معرفته ومعتقداته من الجماعة التي ينتمي إليها , ويفسر الحقيقة الاجتماعية حول نفسه على اعتبارها أفكار نقلت إليه من خلال ارتباطه بالآخرين . ويبحث الفرد عن الأهداف التي علمها عليه الآخرون , والجماعة التي ينتمي إليها والتي حملها وتميز بها عن غيره من الجماعات الأخرى . وقد ينحرف الفرد عندما يشعر أن هناك ضغوطات تمارس علية عن طريق الضوابط ويتخذ هذا النمط شكل المعارضة

والتمرد , والثورة , والانحراف. (22)

وقد نسأل عن ما هو الذي يجب ان يفرض على المجتمع . وكيف يجب أن يفرض عليه . ويفرض الضبط في المجتمعات الحديثة من الدولة على الرغم من وجود تداخلات ما بين الفرد والمجتمع . فهناك حدود لضبط النفس عن طريق وسائل الإعلام , والرأي العام , والمعتقدات والتربية . وهذا ما جعل بعض الأفراد يعتقدون ان ليس من حقهم ان يعملوا شيئا عدا ما يريده المجتمع . لذلك نجد بعض الأفراد يتمردون على المجتمع , وقد ينتظمون في القيام بأعمال فوضوية anarchists . فالمجتمع هو دعامة لإشباع متطلبات الأفراد من خلال الضمان والنظام. ويسعى المجتمع الى تحقيق الرفاهية لأفراده , وقد تتعثر هذه الرفاهية عندما لا تتطابق والتلاؤمات الجمعية collective convenience كما يمثل المجتمع القابلية الجمعية لإشباع هذه الحاجات . (23) ويتمرد بعض الأفراد عندما لا يستطيعون تحقيق المطابقة بين حاجاتهم ومتطلبات المجتمع وتطور المجتمعات الحديثة وسائل جديدة في الضبط عندما تجد هناك ضرورة وحاجة إليها .

وقد تصنف أشكال الضبط إلى نوعين : -
الأول - الضبط الذي يعمل من جانب الأفراد أنفسهم.
الثاني - الضبط الذي يعمل من خلال معايير وقيم الجماعة (24) او المجتمع .

وتتمثل الطريقة الأولى في النفس self المتكونة من الخبرات التي يمر بها الفرد والخاصة به . والمقصود بالوضعيات الخاصة بالفرد هو عضويته في المجتمع المحلي community , او الجماعات الأخرى التي ينتمي اليها , زد على ذلك ان هذا الفرد هو جزء من المجتمع الكبير. ولقد جعلت هذه الوضعيات من الفرد ان يكون في موقع له من الموروث الثقافي هذا ما صنع منه فردا يختلف عن بقية الأفراد الآخرين . ان الذات الفردية Ego هي المسؤولة عن هذه الخبرات , وما يحدث فيها من تغييرات نتيجة ردود الأفعال التي يواجهها الفرد . فعندما نبدي فكرة أو رأيا معينا ويبدي الآخرون بأفكار وآراء فإن مثل هذه الوضعيات هي تعبيرات عن النفس self . او عندما نريد ان نعمل شيئا معينا يتعلق بالمستقبل فإن الذات self تتحمل المسؤولية مقدما وتقرر ماذا ستفعل وتوافق , أو تتخذ عهداً فيه من الالتزامات ومن ثم يحدث تغير في الوضعيات وقد يتبدل الفعل . ولكن يبقى الفرد عضوا في المجتمع المحلي أو الجماعة على ان يعمل وفق هذا العهد . ويطلق على هذا النمط من الفعل بالسلوك العقلاني Rational conduct . ويتطلب هذا الضرب من السلوك أن يحوّر الفرد نفسه في اتجاه المحيط الذي يعيش فيه , ويلتزم بالقوانين الاقتصادية , السياسية , والطبيعية . (25)

ويعتقد " ميد " Mead أن هناك فرقاً بين الأنا I والانا الاجتماعية me على الرغم من انهما وجهان مختلفان للذات self. وتوضح الأنا الاجتماعية me المواقف المنظمة للآخرين وهي التي تحدد سلوكنا وتمثل خاصية الشعور بالذات self. وتعطي الأنا الاجتماعية me الشكل للذات الفردية I. وعلى الرغم من ان كل جديد يأتي عن طريق الذات الفردية I إلا أن البناء وتشكيل الفعل يبقى راسخاً في الذات self التي هي صورة لما هو تقليدي .
وعندما يحصل تجديد في المجتمع فالطلب يزداد على ما هو غير تقليدي والجديد من الأنماط من الاتجاهات . وتتطلب هذه الوضعية كسر وانتهاك كل ما هو تقليدي مثال ذلك ما حدث في المجتمع الإغريقي عندما بدأه الفنانون في إبداعهم وتركيزهم على كل ما هو غير تقليدي . وكذلك الحال في الذات

السلوك المندفع وغير المنضبط أو المسيطر عليه . فالأنا الاجتماعية me تكون غير مستعدة في مثل هذه الوضعيات عن الذات الفردية I. لأن الأنا الاجتماعية me هي المراقب والمسؤول عن تقرير الانطباعات والتعبيرات التي لا بد أن تأخذ مكانها ومرحلتها , وتجهزنا الأنا الاجتماعية me بدرجة عالية من الضبط .

أما بالنسبة الى الذات self فقد تكون ضد الاخرين الا ان المجتمع يبقى يمارس الكفكفة والضبط وهذا ما يجعل الفرد يمارس السلوك بطريقة عنيفة ضد الاخرين . فالأنا الاجتماعية me تتحدد بواسطة الوضعية , ويعبر الفرد عن مشاعره بطرائق مختلفة في ضوء هذه المحددات. وقد تكون الأنا I ضد الأنا الاجتماعية me وهذا يحصل عندما يكون الفرد تحت اوضاع غير اعتيادية . فعندما يتصرف الفرد ولم يأخذ بعين الاعتبار مواقف الاخرين داخل الجماعة , كسلوك الطفل فالنتيجة يكون ردّ الفعل غير منضبط وغير متوافق مع الجماعة ايضاً. فالضبط الاجتماعي هو التعبير عن الأنا الاجتماعية me وضد تعبيرات الأنا. (26)

اما " دوركهايم " فيرى أن الضبط الداخلي يتمثل في قوة الأخلاق التي تتحول على شكل قواعد للسلوك , وتحتاج هذه القواعد إلى تقنية مساوية للقواعد الأخلاقية ولو أن هناك تمييزا بين قواعد الأخلاق والقواعد الفنية Rules of technique منها أولاً ان قواعد الأخلاق يمكن الاستفادة منها ببساطة من قبل سلطة خاصة لأنها يمكن ان تطاع ببساطة , عن طريق الإلزام obligation وهو احد قواعد الآداب moral rule .

وثانيا - أن فكرة الواجب لا يمكن ان تعالج مفهوم الأخلاق وهذا واضح عندما نريد أن نتخذ القرارات وفي بعض الأوضاع . فعندما نريد ان نصبح وكلاء لتأدية الفعل لابد لهذا الفعل أن يتلاءم مع مصالحنا , وان تكون رغبة لدينا في الالتزام أو أداء الواجب .

فالذي يميز الواجب duty هو القابلية في الرغبة desirability في الأخلاق . على أن من طبيعة الواجب امتناع انجازه من غير جهود ومن غير إكراه constraint للذات حتى ولم لم يكن الفرد متحمساً في الانجاز هذا . فالرغبة والالتزام هما خاصيتان لا يمكن إلغاء احدهما , وان الفعل الأخلاقي يتميز بهاتين الخاصيتين المرتبطتين مع بعضهما بنسب متفاوتة . (27)

أهداف الضبط :

يرى " يونك " Kimball Young إن هدف الضبط هو إيجاد المطابقة والتضامن والاستمرارية لجماعة معينة او المجتمع برمته .

فقد يحاول معظم الأفراد المسؤولين نحو أفراد آخرين ضبط أتباعهم . ويحاول هؤلاء الأفراد ويكافحون في زيادة قبول الأساليب modes للأفعال التي يفضلونها ويعتمد هذا التفضيل على التدريب. وقد يتأتى هذا التدريب عن طريق الخبرة في الحياة او الرغبة لاستغلال الآخرين من اجل الحصول على القوة سواء كانت هذه القوة شخصية او سياسية او اجتماعية او اقتصادية. وعلى الرغم من أن ليس هناك قيمة كبيرة بالنسبة للمشتغلين بالعلوم الاجتماعية في ان يحصلوا على معلومات بالأنماط التي تتعلق بالحياة اليومية التي تساعد على انتظام الأفراد في الحياة الاجتماعية بقدر الأهمية التي يفترضونها في الصعوبات التي يواجهها الأفراد في قبول هذه الأنماط او يتلكئون في تمثيلها وتحقيق المطابقة بينهم وبين

النظام الاجتماعي. (28) الا ان هناك البعض من الباحثين قد ركزوا على عملية الانتظام والانسجام , وعلى الوسائل واستخدامها التي يمكن من خلالها المجتمع ان يحقق التكامل في الحياة الاجتماعية .
وربما لا يمتلك موضوع الضبط منهجا واضحا في علم الاجتماع لوجود صعوبات كبيرة في تحديد متضمناته ومحتوياته على الرغم من ان هذا الموضوع بقي مرادفا لعلم الاجتماع لذلك نجد ان هناك صعوبة تواجهنا في تحديد أهداف الضبط الاجتماعي .
ويركز الضبط الاجتماعي على المطابقة , وكبح الانحراف وبعض الأحيان على السلطة , وإدامة الشرعية لبناء مؤسسات مجتمعية لتدعيم النظام الاجتماعي .
وخلال مناقشته للضبط ظن " هومانس" ان هذا الموضوع لا ينفصل عن النسق بل هو يدخل على النسق وهو موروث في التداخلات , والتفاعلات الاجتماعية للعناصر التي صنعت النسق . وهدف الضبط هو تشييد وبناء النسق على الرغم من انه قد يسهم في بعض الأحيان على تمزيق او انحراف النسق الا انه باستمرار يقبل المعلومات حول حالته الانحرافية. وتتطلب فكرة بناء آليات لإدامة نسق معين عملية تغيير لذلك البناء او تبين المرونة . ورفض وجود آليات خاصة للضبط قد يختلف عن تركيزنا على دور الجماعة الضاغطة او دورها في رفع درجة المطابقة للنسق , أو التنشئة لأجل إيجاد نظام سلوكي موحد . فأهداف المعايير والقيم كقوى ضابطة في المجتمع هي ليست وحدها التي تحدد السلوك الاجتماعي وإنما يضاف إليها عمليات التفاعل الاجتماعي التي تحدث داخل النسق او بين نسق وآخر.

ويهدف الضبط الاجتماعي إلى تنظيم الذات self - regulation ويقترح " نادل " Nadel تشكيل دعم للضبط وللمحافظة على هذا النمط من التنظيم كالمكافآت والعقوبات لتوحيد وإدامة النسق . وفي رأيه ان المعايير , والعادات , والتوقعات هي ليست الأساس في تكوين النظام الاجتماعي وإنما بها حاجة إلى وضعيتين تعمل لتدعيم الضبط وهاتين الوضعيتين هما :
1- السلوك المعياري المرغوب , والقيم , والمتوقع المتعود عليه .
2- السلوك النمطي, والمكرر والذي يضمن نجاحا عاليا للانسجام بين الأفراد.

واعتقد " ناديل " Nadel ان هذه الحقائق هدفها هو تنظيم الذات self وتدعيم العمليات الاجتماعية التي تحصل بين انساق المجتمع وتزيد من قوة الترابط بينها لاسيما في العلاقات الفرعية , وكذلك أهداف المجتمع (29)
وتظهر أهداف الضبط عندما تقرر جماعة من فرض سلوكها على جماعة أخرى او عندما تسيطر جماعة على أعضائها , او عندما تؤثر جماعة على إرجاع جماعة إليها عندما تنشق عنها وعن أهدافها .
وأهداف الضبط يمكن ان تنحصر في ثلاثة مستويات .
1- سيطرة جماعة على جماعة أخرى .
2- سيطرة جماعة على أفرادها .
3- سيطرة الأفراد على إتباعهم .

فهدف الضبط هو عندما تكون الجماعة مقتنعة او مجبرة أو الفرد في بعض الاحيان على تبني نمط سلوكي معين وتفرضه على الجماعة أو الإتباع سواء كان السلوك يتماشى مع رغباتهم او العكس. فعندما يكون هدف الضبط على المستوى الفردي فان هذا الفرد يحاول التاثير في سلوك الأفراد الآخرين . أما إذا كان الضبط على مستوى ضبط الذات الفردية نفسها فهذا يعني ان هناك نماذج وافكاراً واهدافاً قد نمت عند ذلك الشخص وأصبحت جزء من شخصيته .

وتتقرر أهداف الضبط بوساطة القيم , والطرائق الشعبية التي ينتمي إليها الفرد . أما ضبط الذات فهو يشكل ضمن إطار الضوابط الاجتماعية . فعندما يحاول الشخص ضبط سلوك الآخرين فان هذا الشخص مارس القيادة أكثر من ممارسة عملية الضبط وعندما يصبح لدى هذا الشخص القيادي إتباع ويمارس عليهم ضبطا معينا لأجل تحقيق أهداف معينة , فان مثل هذه الوضعيات تقودنا على اعتبار ان هذا الشخص هو وكيل لعمليات الضبط . (30)

٢٠١٥/١٢/٢٨

النزعة الاجتماعية Sociability والضبط

هناك نزوع اجتماعي عند الافراد نحو الضبط لاجل تحقيق الاستقرار في الحياة الاجتماعية , والمشاركة الوجدانية . وهذه الميول هي التي سهلت الانسجام بين الناس. وتنقطع صلة الفرد مع زملائه والافراد الذين نشأ معهم , ولكن الحنين والسرور , والشعور بالألفة الاجتماعية تبقى عند الفرد وهذا واضح عندما يشعر ان هناك ميل حاد نحو اقرانه . وتتوضح هذه الانطباعات عندما يلتقي الناس خلال المناسبات وترتسم على وجوههم علامات البهجة والفرح في مثل هذه اللقاءات .

ويرى الانثروبولوجيون ان هناك دوافع غريزية موجودة عند الانسان في التكيف مع الحياة الاجتماعية. وهذه الميول موجودة حتى عند الارساس والجماعات التي تعيش في اطار ثقافي متخلف . وبين الانثولوجيين Athonologist بأن الشعوب المتوحشة هي ليست متوحشة في الحياة الاجتماعية وإنما هي كذلك وشرسة في الحروب التي تقع بينها . وهذه الدراسات التي وصلتنا عن أقوام " الاسكيمو" Eskimo , " والسوموید " Samoyeds والدياكس Dyake , "والزوني" Zunis بينت ان هذه الشعوب تتمتع بالرقة في تعاملها الاجتماعي مع الاخرين .

وتعيش هذه الشعوب على شكل عوائل مترابطة او في بيوت مشتركة في مجتمعاتهم المحلية .

وتتمتع قبائل " الهوتنتش " Hottentots بالمرح والميل للضحك , والكرم والضيافة فيما بينهم. أما " النيكرتوس " Nigritos فتغلب عليهم ظاهرة الانسجام , وبالمثل يتصف "البوشمن" Bushman بالكرم , ويتصف " الانديمان " Andaman باللطف , والود فيما بينهم . وسجلت الدراسات الانثروبولوجية لاطفال سيبيريا امتناعهم عن القتال وكذلك بين اطفال القبائل التي تسكن هذه المنطقة ولمئات السنين . فالشعوب البدائية لديها نظام لحياتها الاجتماعية . (31)

فالمعلومات التي جمعها الانثروبولوجين عن المجتمعات غير المتعلمة بعد دراستهم لدور الثقافة وفاعليتها في بلورة شخصية الفرد قد عززت الرأي الذي يعتقد بمدى فاعلية المجتمع في بلورة الأنماط السلوكية وتحديدها وضبطها , وميول الأفراد للنزعة الاجتماعية . ففي دراستها للثقافات البدائية وجدت " روث بندكس" Benedict ان كل ثقافة تختلف عن غيرها في الأحكام الاجتماعية وذلك بحسب التدريب والتنشئة وتأثيرهما على الفرد . واستنتجت من دراستها هذه لثلاثة مجتمعات على الرغم من (١) تجاورها جغرافياً إلا أنها تختلف في أنماط وأشكال الضبط والسلوك . ووجدت ان سكان الجبال من النساء والرجال غير عدوانيين وإنما هم رقيقون affectionate ومتعاونون فيما بينهم والنمط نفسه من هذه السمات تنطبق على أطفالهم ايضا. أما الذين يسكنون بالقرب من الأنهار فيتسم سلوكهم (٢) بالعدوانية رجالاً ونساءً , ولديهم حب السيطرة والضبط على غيرهم . أما الثقافة الثالثة فلاحظت " (٣) بندكس" أن الرجال يلعبون دوراً ايجابياً في المجتمع المحلي ويهيئون خصائص مشتركة مع النساء لتطوير مجتمع حديث ومتحضر . (32)

وتخضع الانماط السلوكية في المجتمعات التي تتميز علاقتها وجها لوجه الى التعديل والتحوير والتبديل في بعض مظاهر سلوكها عن طريقة الاقتراحات , او الاقناع , او المناقشات المنطقية , أو الاتفاق على

رأي الأكثرية . وتتميز هذه الجماعات عموما بالتجانس والرضا والاستجابة لسلوك الآخرين . (33)
وبعد تطور العقل والفكر وانتقال المجتمعات البدائية من اعتمادها على الزمالة كأساس للتعامل الإنساني والضبط عن طريق العادات , والتقاليد , والمعايير البدائية الى مجتمعات تسودها المؤسسات الحديثة .
ومن مجتمعات تعيش حياة طبيعية بكون فيها المعشر Hord او الفخذ clan صغيرا والرباط الذي يرتبط به الأفراد شخصي الى مجتمعات صناعية ذات وحدات اجتماعية اكبر من سابقتها وتسود فيها العلاقات الاجبارية حتى بين الافراد الذين لا يعرفونهم. حتى ان هذه الوحدات الجديدة اصبحت تمثل مصالح الافراد الذين يرتبطون بها اكثر من رباط المعشر لوجود ظاهرة تقسيم العمل وتمثيل هذه المؤسسات للمصالح الاجتماعية , والاقتصادية.(34)
واصبح السلوك البشري في مثل هذه المجتمعات بحاجة الى اختيار للشعور والتوجيه الواضح في الاختيار وهذا ما يدعى بالسلوك المؤسساتي. وتقيم مثل هذه الضروب من السلوك بانها مقبولة أو غير مقبولة بحسب وظيفة المؤسسة التي ينتمي اليها الفرد . أن كل نموذج من المؤسسات له ميزانية من القيم والقواعد الملائمة للسلوك والتفكير. فهناك الكثير من التوجيهات الأخلاقية تأتي من هذه المؤسسات كالدينية , او الاقتصادية او التربوية أو غيرها من المؤسسات الأخرى . وتطبق هذه التوجيهات والضوابط على الفعاليات التي لها طابع ديني أو اقتصادي أو تربوي . (35) وتصبح هذه التوجيهات ضوابط . فالمؤسسات الاجتماعية تنشأ الأفراد الذين ينتمون لها على ضوابط محددة تتعلق بإدامة المؤسسات نفسها ولأجل تأدية وظائفها المطلوبة داخل المجتمع .
فبعد نمو المدن الصناعية, والتجارية الحديثة ومع افتقارها إلى الجيرة إلا أن هناك عمليات ومصالح مشتركة ومختلفة فيما بينها . ويتميز الاتصال الحديث بطابع خاص هو الرأي المشترك كما وان الاتصالات الحديثة ذات صبغة ميكانيكية وذات طابع شخصي هدفه النجاح والثراء. وتطور النظام الاجتماعي وأصبح ذو طابع جديد ناتج عن عملية الاندفاع impulse للقابليات الاجتماعية. وبدأ هذا النظام يظهر أكثر ميولاً نحو تكوين وبلورة أنماط سلوكية متجانسة. وأصبحت المدن الكبيرة تضم جماعات اجتماعية متباينة , ومتنوعة وكثيرة. وأصبح المنحرفون والمجرمون لهم جماعاتهم ودوائرهم الخاصة بهم. (36) التي تضبط وتوجه سلوكهم وهذا النمط من الضبط والنزوع آلية يختلف عن الضبط والتوجيه في المؤسسات الاعتيادية والسائدة في المجتمع . فالجماعات المنحرفة لها دوائرها ومؤسساتها التي تضبط وتوجه سلوك أفرادها.
ومن خلال العلاقات المباشرة التي هي وجهاً لوجه قد يسلك الأشخاص نمطا متأثراً بالإتباع , والاندفاعات والمكافآت , والعقوبات . إن المجتمع المحلي هو مركز مهم للضبط الاجتماعي . وتصبح الأفكار , والأنماط السلوكية نسبيا نمطية stereotyped داخل هذه المجتمعات وهي نماذج للجماعات الاجتماعية. ويدرب الأفراد على التعاون المباشر , واقتدار الأفراد للوصول الى الأهداف وتحت الرؤساء والقادة الرسميين أو مع السلطة المعرفة ثقافيا. إن وظيفة الضبط الاجتماعي هو المحافظة على النظام الداخلي , والمطابقة مع المعايير التقليدية للسلوك . أما المجتمعات الحديثة فان عملية الضبط الاجتماعي تتم من خلال الحكومة بعد نموها. ووظيفة الحكومة من المنظور الثقافي هو انها تخدم الافراد كونها وسيلة للفعل الجمعي والضبط الاجتماعي , والتي هي عادلة في الحكم ولها الحق في استخدام القوة . (37)
ويتميز النظام الاجتماعي في المجتمع الصناعي الحديث بالنمو والتطور والتعقيد. فالأساليب غير الرسمية للاجتماع , والتبادل والضبط الاجتماعي ربما لا تعمل حينما تفقد هذه المجتمعات العلاقات المباشرة , التي تكمل بوساطة الميكانيكيات الرسمية. وتسود المجتمع الكبير التداخلات الشخصية للعلاقات وكذلك الأفعال المنمطة , والنظامية , والممتدة . (38) فالضبط الاجتماعي في معظم أساليبه

يعمل من خلال المؤسسات الرسمية , وقد تختلف وسائل الضبط من مؤسسة إلى أخرى ولكن في معظمها تتخذ وسائل الضبط القانونية والتشريعية وتلتزم بها .

التأثير والضبط الاجتماعي

ينظر الى التأثير influence بـــأنه نمط من الضغط او النفوذ الذي يمارس على أفعال وتفكير فرد او جماعة من قبل طرف آخر. وترتبط عمليات التفاعل البشري بالتأثير وهي متصلة به. (39) فهو شكل من أشكال الضبط لأجل شد أفراد آخرين إلى مجموعة من الخصائص المرغوبة للفعل البشري . وترادف القوة مفهوم التأثير لان استخدام القوة في الضبط على توجيه الفعل الاجتماعي قد يكون مطلوبا في بعض الأحيان , لاسيما بالنسبة للذين يخرجون عن النظام الاجتماعي .

والقوة power هي احتمالية تأثير فاعل actor معين داخل العلاقات الاجتماعية , بحيث يكون في موقع معين لأجل تحقيق طموحات , ورغبات على الرغم من احتمالية وجود مقاومة.(40) والقوة نمط من الضغط والضبط التي يمارسها فرد او مجموعة أفراد على الآخرين بقصد التوجيه على نمط معين من السلوك أو الوصول إلى أهداف معينة .

كثيرا ما تنتج عملية التفاعل الاجتماعي تأثيراً influence بـــمظهر أو بـــآخر على نمط العلاقـــات الاجتماعية التي يدخل فيها الأطراف الذين يدخلون في هذه العملية. لذلك نجد ان البحث في نمط التفاعل الاجتماعي يتضمن عملية التأثير الاجتماعي . فهناك تأثير للأزواج على زوجاتهم , ويمتلك الآباء تأثيراً على أبنائهم , وللمستخدمين تأثير على المستخدمين , وللموظفين الحكوميين تأثير على الناس الذين لهم مصلحة في القطاعات التي يعملون فيها , وكذلك الحال في علاقات الصداقة . وهذا النوع من التأثير يهدف الى ضبط وترتيب العملية التسلسلية للعلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات.

وربما لا يكون التأثير نابعا من جانب واحد وإنما هو عملية متبادلة reciprocal بين الجانبين الذين يدخلان في عملية التبادل . وعلى الرغم من اعتقاد بعضهم ان عملية التأثير قد تكون متساوية بين الطرفين المتفاعلين الا أنها في الأعم الأغلب غير متساوية في التوزيع. (41) وان فهمنا لعملية التأثير وممارسة القوة مطلوب لمعرفة وتحليل تركيب الضبط الاجتماعي وفهم الطرائق التي يتبعها الأفراد عندما يدخلون في هذه العملية لاسيما في فهمنا لعمليات التدرج الاجتماعي social stratification . فهناك من يرى ان نسق التدرج في المجتمعات الرأسمالية الصناعية هو مصدر لعدم المساواة في التأثير والعدالة الاجتماعية. ويعتقد البعض الاخر ان التحمس لهذا النموذج من النظام مؤثر في عدم المساواة والعدالة . (42) ويتشعب التدرج ويتباين في المجتمعات الصناعية الحديثة لذلك نجد ان عمليات الضبط الاجتماعي متعددة ومختلفة بحسب طبيعة المؤسسات الاجتماعية التي يتضمنها المجتمع .

وينظر " رسل " Bertrand Russell الى القوة على أنها المنتج إلى التأثيرات المتعمدة intended effects . والقوة في المعنى السياسي لا يمكن النظر إليها على أنها القابلية في إنتاج التأثيرات المتعمدة , وانما هي تأثيرات مباشرة تضم أشخاص معينين يشتركون بأهداف معينة ومحددة . ونظر "فرديريك" Friedrech الى القوة بأنها نوع معين من التأثير يمارسها الأفراد في العلاقات الاجتماعية التي يدخلون فيها . اما " تاوني " Tawney فيذكر بان القوة هي التأثيرات المتعمدة لأشخاص معينين على آخرين بهدف ضبط وتوجيه سلوكهم . فهي القابلية لفرد أو جماعة عن الرغبة او القسر في التأثير على تعديل سلوك الافراد . . وتسهم القوة في صنع القرارات وتحويلها الى ضوابط للأفعال .

ويشترك في القوة طرفان , الاول يمارس القوة على الطرف الثاني, أما الثاني فقد يلقى احتراما من الطرف الاول. ويزاد على مفهوم القوة اصطلاح اتخاذ القرارات الذي نعني به انتاج التأثيرات المقصودة على الاشخاص الآخرين . وتتميز القوة بامتلاكها التصديق على القرارات التي تتخذها الجماعة. وهي

مهمة في اتخاذ القرارات عندما يكون هناك عدم اتفاق في السياسات المقصودة, والهادفة . (43)
فالقوة هي نمط من التأثير يتركه فرد او جماعة على افراد آخرين بهدف ضبط سلوكهم بطريقة تتلاءم مع رغباتهم ومصالحهم . فالتأثير والقوة هما وجهان للضبط القسري لأن كليهما يميلان الى احتمالية القيادة لمحتوى معين . وهنا يكون الضبط تلقائيا ويتخذ شكلا نمطيا 44(. stereotyped) لاسيما عندما تظهر أهداف مشتركة بين الجماعة التي تمارس التأثير والقوة وبين الجماعة التابعة لها .

ويرى " بيكلي " Buckley في كتابة علم الاجتماع ان هناك صلة بين البناء الاجتماعي والفعل الاجتماعي. ويرجع ممارسة القوة الى طبيعة البناء الاجتماعي . فقد تكون القوة بيد جماعة لها موقع أو مكانه في البناء الاجتماعي , وان الطاعة والاستجابة لها تعني وجود توافق وتناسق وعدم وجود صراع . على الرغم من ان الصراع متوطن في البناء الاجتماعي , ولا يمكن تجنبه, وقد يظهر عندما تفقد السلطة قدرتها في تأدية وظائفها بصورة ناجحة. (45)

فالتصنيع الحديث من خصائصه المميزة في بنائه قد شيّد بناءً أخلاقياً يسعى الى تقديم الخدمات وله نظامه التدرجي لأن التكنولوجيا هي مستقلة وسلطوية في الوقت نفسه . والتكنولوجيا نفسها هي منمطة وظيفيا وسلطويا بهذا فأن هناك صراعاً اخلاقياً لا يمكن تجنبه في مثل هذه المجتمعات بين المؤسسات المختلفة التي شيدها وخلقها المجتمع الحديث. (46) فالضبط هو الوسيلة التي يخفف من هذه الصراعات لاسيما بين المؤسسة نفسها التي تضم عدداً صغيراً أو كبيراً.

فالوظيفة الاساسية للتأثير الاجتماعي social influence هي ادخال الضبط الاجتماعي داخل الجماعة. ويستطيع الافراد من انجاز أفعال منسجمة , أو أنهم يؤسسون جماعة عن طريق عملية الضبط الاجتماعي . فعندما تتحرك الجماعة وتكون حركتها نحو هدف معين أو موضوع محدد بوساطة الجماعة نفسها ويكون هذا الهدف ذا معنى واضح فإن سير هذه الحركة يكون على وفق معايير مشتركة قد قبل الأفراد بها . ويهدف التأثير الى احداث تأثير على الاخرين لأجل قبول وجهة نظرهم التي تتمثل فيما يريدون ويرغبون به. كما يهدف التأثير في بعض الاحيان الى إحداث التأثير على الاخرين لقبول وجهة نظرهم التي قد تكون مناسبة الى الذين يشرفون على عملية الضبط الاجتماعي واحتمال خلق وإيجاد قوى النجاح . (47) عند الجماعة المسيطرة .

وركز الاجتماعيون على دراسة ثلاثة أشكال من أشكال التأثيرات الاجتماعية وهي :

1- دراسة التأثير الاجتماعي على الأحكام السابقة , ويتخذ التأثير في مثل هذه الوضعيات صفة الاقتراح .

2- دراسة التأثير الاجتماعي , الذي يظهر من مصالح الجماعات الصغيرة .

3- دراسة التأثير الاجتماعي الذي يظهر من الاتصالات المقنعة التي تعمل خلال ما تظهر به .

ولو ان بعض الباحثين ركزوا على دراسة التأثير الكمي على اعتباره عاملاً مهماً في عملية التغير الاجتماعي . (48) التي هي أكثر وضوحا وشمولية في المجتمع .

ويعتبر التأثير الاجتماعي شكلا من اشكال الضبط الاجتماعي. فعندما تتأثر جماعة بشخص او بمجموعة اشخاص فهذا يعني ان هذه الجماعة لا بد عليها ان تستجيب الى المطالب والاهداف المرغوبة التي يدعوا اليها ذلك الشخص او تلك الجماعة .

يوم ٢٠١٩/٣/٢٧ الأربعاء الفصل الأول فقط

الفصل الثاني

النظريات المفسرة للضبط

نظرية " ادوارد روس " Ross في الضبط

نظرية " سمنر " Sumner في الاداب Mores

نظرية " دوركهايم " في الضبط

نظرية " ميد " Mead في الضبط

النظام الطبيعي والضبط الاجتماعي

النظريات المفسرة للضبط

يعد الضبط الاجتماعي دعامة حيوية في تقويم وترتيب النظام الاجتماعي وتثبيته . ويسعى كل مجتمع الى المحافظة على استقرار الحياة الاجتماعية داخله, عن طريق تماسك الانساق الاجتماعية وترتيبها لاجل تنظيم حياة الافراد مع بعضهم بطريقة متناسقة ومنظمة ومتوازنة. وتعرض علماء الاجتماع بصورة مباشرة او غير مباشرة الى دارسة الضبط كحقل من حقول علم الاجتماع لما له دور فاعل في عمليات التنظيم الاجتماعي لحياة الاجتماعية وله استقلالية كبقية ميادين هذا التخصص الحديث الذي نشأت وتفرعت منه حقول متخصصة ومتنوعة.

نظرية " ادوارد روس " Ross في الضبط

يرى " روس" ان هناك منافع مشتركة لاي مشروع يمكن تحقيقه بعملية التعاون بين مجموعة من الافراد وذلك عن طريق حرية النشاط الذي يمارسونه. ولكن عندما تتحدد منفعة التعاون هذه بمجموعة من الافراد وتقتصر هذه المنفعة عليهم لكي يتمتعوا بالعوائد المتوقعة فالضرورة تتطلب وضع حدود للممارسات ومن بين هذه القيود الضغوطات الجمعية على الافراد الذين يريدون الافلات من المشاركة .
ويحتاج التعاون المعقد , وعن طريق الرغبة , الى السلطة فوقهم لاجل النجاح وذلك من خلال الاشراف على الانجازات التي يقوم بها الافراد . والضبط الاجتماعي هو احد الركائز الهامة لعملية التعاون وتقرير مساراتها واتجاهاتها ويستحيل على اي تنظيم سواء كان هذا التنظيم عسكريا او سياسيا , او صناعيا او تجاريا او تربويا ان يتحقق الا من خلال قيود وضوابط فعندما لا يمكن الاعتماد على الوحدات بسبب من الفاقد او التسريب منها او عدم التدقيق لاجل حمايتها فان هناك خسارة قد تلحق بمثل هذه الوحدات او التنظيمات . وتتطلب عملية الوصول الى الرفاهية من الافراد والجماعات وفي مثل هذه التشكيلات الاجتماعية عملية ضبط النظام الاجتماعي الذي يعتمد على قواعد واسس افضل من الدوافع الاخلاقية الطبيعية. (49) وقد ظهرت هذه الحالة عندما انتقلت الجماعة من شكلها البسيط الى المعقد .
ويسعى الافراد في الحصول على المنافع لاسيما المادية منها.
ويصبح النظام الافضل هو رغبة ومطلب لهم للوصول الى اهدافهم . فاذا كانت القابليات الجمعية غير قادرة على ايجاد وسائل للتوجيه, فان الرغبة او شعور الفرد نحو هذا الاندفاع مهم للمحافظة على المشروع او التنظيم . ان كفاح الفرد او الجماعة واندفاعهم نحو المحافظة على المشروع هو الخوف من فقدان الفوائد التي يسعون اليها من ذلك المشروع. وعندما تشتهر جماعة معنية في تنظيم مشروع فانها تعتمد على دستور المجتمع. ويصبح الضبط ضرورة في حياة الناس عندما نتصور المجتمع بناءه عندما يكون المجتمع بالصور التالية :

1- عندما يكون هناك تصادم وتعارض بين عناصر السكان اي بين مصالحهم وتحقيق منافعهم .
2- يتمتع الافراد في مردود الفوائد من المشاريع التي يسودها الضبط .
3- هناك اختلاف بين المكانات والترتيبات داخل المجتمع.
4- هناك اختلاف في الفرص الاقتصادية للافراد.
5- هناك بعض العلاقات الطفيلية التي تديم العلاقة بين الارساس او الطبقات , او الجنس وقد تكون هذه العلاقات مؤقتة . ويرى "روس" ان وجود عدم المساواة في الثروة , ووجود الطائفة , والتدرج الاجتماعي والتقاليد , ونظام العبودية كل هذه قيود وان التحرر منها يعني التحرر من الضبط.

ويشير الى الادوات الاخلاقية في الضبط واهميتها كما ياتي :

1- تحقيق التجانس السكاني بالنسبة للمجتمع الذي يضم ارساسا مختلفة .
2- تحقيق الوحدة الثقافية لجميع افراد المجتمع.

3- تحقيق الاتصالات الاجتماعية بين العناصر السكانية التي يضمها المجتمع.
4- تحقيق المتطلبات الفردية التي يرغب فيها الافراد.
5- تثبيت الافكار الاساسية في الدستور وخاصة العدالة على الرغم من ان الدستور غير ثابت (50) .
فالنظام الاجتماعي في نظر " روس" ليس فطريا ولا تلقائيا بل هو نتاج للضبط الاجتماعي. فوجود المجتمع بدون هذا النظام قد يكون مستحيلا.(51) ويرى ان المجتمع الطبيعي تكون الدوافع الانسانية فيه قادرة على توجيه نفسها دون تدخل قوة خارجية , اما المجتمع الطبقي المركب فانه يكون موجها نحو مصالح طبقية وفئوية .

ويعتقد " روس " ان هناك غرائز عند الانسان , ما تجعله اجتماعيا ومتعاونا ومن هذه الغرائز التعاطف وغريزة الاجتماع sociability والاحساس بالمشاركة. اما غريزة الاحساس بالعدالة فانها تعمل على ابعاد الانسان عن الاعتداء على حقوق الاخرين وهذا ما يؤدي الى شيوع الاستقرار الاجتماعي. ويركز "روس " على الاحساس الخلقي الذي تخلفه الجماعة في الفرد متوخية المحافظة على قيمها الخلقية , وقواعد السلوك فيها وينشأ الفرد حريصا على ضبط سلوكه الذاتي وضبط سلوك الاخرين . وتستدخل مفاهيم الضبط الاجتماعي لدى افراد المجتمع عن طريق عملية الايحاء الاجتماعي , اي ان الجماعة توحي الى الفرد بان اساليب الضبط هي الاساليب الصحيحة التي فيها مصلحة الفرد .

نظرية " سمنر " Sumner في الاداب Mores

يعتقد " سمنر" بان الاداب هي الطرق التي نعمل بها . لاجل اشباع الحاجات البشرية والرغبات الفردية لتحقيق مستويات معيشية افضل. والمنفعة الاكثر اهمية هو تحقيق النظام الاجتماعي . وترافق عملية الضبط طرق التفكير في كل ضرورات الحياة . فالاداب هي تنظم السلوك السياسي, والديني وضروب النشاط الانساني. وتبدأ الاداب باللاشعور وخاصة عندما يقتنع اللاشعور والاهداف التي يسعى اليها والتي تتأثر بوساطة الانعكاس بعد عملية طويلة. كما وتعتمد على افتراض ان هناك قبول عام لدى الافراد منها. فالآداب ليست انطباعات عامة يستخدمها الفرد عند الضرورة كالطعام او النوم وانما هي مستقلة ومقبولة لانها ملائمة ومفيدة وجيدة بالنسبة للناس.
فالاداب هي طقوس اجتماعية وهي لا شعورية والعادات كساعات العمل , ووجبات الطعام, وحياة العائلة, العطل , وكذلك التربية هي استخدام طقوس. ولعل من المفيد ان نعتقد ان بكل ما نقوم به ذو فائدة . إذ ان القسم الكبير من الطرق الشعبية على الرغم من انها تعتمد على الروتين والعادة تمارس الضبط على السلوك وفرض قيود عليه. فالفرد يولد وينشأ على الاداب وهي انتقلت الينا من الماضي , ولديها سلطة علينا وقد لا ننتقدها في كثير من الاحيان. ان كل واحد منا هو هدف للتاثير لهذه الاداب , ويتشكل على وفقها وبوساطتها قبل ان يصبح قادرا على التساؤل عنها . ويناقش بعض الافراد التقاليد الموروثة والافكار , ولكن لا نعير انتباها في معظم الاحيان لمثل هذه المناقشات فعلى سبيل المثال , ان طرق الزواج او نظم الملكية , قد تناقش ولكن لا يمكن تغيير هذه النظم وكذلك الحال وظيفة الدولة ووجودها, والديمقراطية . ويواجه الافراد صعوبة في نقدها لانها تتمتع بالشعبية على الرغم من عدم وجود فرد واحد مخلص ومتفان في كل هذه الانماط من الاداب . وقد لا يريد الفرد في بعض الاحيان ان يسمع النقد , او يقف ضد هذه المؤسسات , وانما كل ما يريده ويسعى اليه هو ان تتحول هذه الاداب mores الى قوانين ايجابية او عقلانية . وتتضمن الاداب على المعايير اذ ان تقييمنا ومناقشتنا للاداب تتطلب منا ان نحكم عليها فيما اذا كانت حسنة ام غير حسنة ولكن ليس من السهولة على الفرد ان يقبل النقد او التجريح لهذه المستويات لاننا تعلما عليها بصورة لا شعورية مثل ما تعلمنا المشي او الاكل او التنفس . وقد نحمل

هذه الحقائق في تقاليدنا و عاداتنا. وان من خاصية الاداب هي انها مدموجة في مبادئنا و عقائدنا على انها حقائق وليس بمقدورنا ان نعمل شيئا اتجاهها (52) وتتسع الاداب على مجالات الحياة و هي تخدم مصالحنا , و هي مبرهنة بوساطة قيود باطنية حتى بفكرة عقلانية و هي اسس الى الحقائق الاجتماعية وما هو صحيح . وتحدد الاداب من الذين هم ينتمون الى الجيل الجديد, وقد لا يفكرون في تعديلها لانهم لا يسالون عنها و انما يتجاوبون معها لحل مشاكلهم الحياتية. وتقدم الاداب نفسها على انها غير قابلة للتغيير والتعديل وتقترح الحلول والاجوبة وكانها حقائق. وليس باستطاعة اي فلسفة ان تتعرض اليها وتبرهن على انها غير كاملة لانها تمارس ضبطا وضغوطات عقلية. فكل جماعة تعتقد ان ادابها مقنعة وبعيدة عن النقص ذلك ان الجيد, وغير المرغوب في الحياة الاجتماعية وما تحدده الاداب وما تواجهه من تعديل في الظرف والمكان هي خاصية اساسية لها. وهي وسيلة الى الاستقرار عندما تتم المطابقة بينها وبين الافراد (53) وتمثل الاداب قوة ضابطة للسلوك , وموجهة له, وهي تفرض على الافراد طرائق معينة لادائها وعدم الخروج عنها. فهي موحدة للسلوك والافراد لانها تحاول ان تخلق توجها واحدا عندهم في نظرتهم للحياة الاجتماعية .

٤/٣ أن شاء الله

نظرية " دوركهايم " في الضبط

تنبه " دروكهايم " على الاخلاق moral بعدّها مظهرا للقواعد والسلوك . ووضح الاختلاف بين القواعد الاخلاقية التي هي وصف للسلوك وفي اوضاع معينة والقواعد الاخرى. ويرى ان اهم مظاهرها انها :

1- القواعد الاخلاقية ذات سلطة خاصة ولا بد من اطاعتها لانها أمرية command . فالالزام خاصية اساسية للقاعدة الاخلاقية .

2- فكرة الواجب التي لا تستنزف مضمون الاخلاق. فلاجل ان نكون وكلاء للفعل لا بد لنا ان نكون مخلصين وراغبين فيه . فالالزام والواجب هو التعبير عن المظاهر الاخلاقية .

اما درجة قدرتها على اجبار الفرد او الزامه عليها فهي خاصية اخرى للاخلاق. فطبيعة الواجب هي موجودة في القابلية على الرغبة الاخلاقية . وقد لا نستطيع انجاز الواجب من غير جهود لهذا فان التحمس في الانجاز للواجب والفعل الاخلاقي هو خارج عنا و هو فوق طبيعتنا , وقد نواجه صعوبة في الوصول اليه ومن جملة الصعوبات الصراع الذاتي .

ان القابلية على الرغبة , والالتزام خاصيتان ذواتا فائدة للضغط دون الضرورة لنفي وجود الاخرين. وان كل الافعال الاخلاقية تتمتع بهاتين الخاصيتين على الرغم من ان الارتباط بهاتين الخاصيتين نسبية.

والحقيقة الاخلاقية لها مظهران مختلفان هما :

1- الموضوعية objective

2- الذاتية subjective

فكل الناس وفي لحظة معينة من تاريخهم لديهم اخلاق وحكم اخلاقي. وان لكل جماعة اخلاق مشتركة وعامة ويرتبط بها جميع الافراد . (54) ولكل فرد انطباعات شعورية للاخلاق الجمعية وبطريقته الخاصة به , وقد يراها كل فرد من زاوية قد تختلف مع الاخر. وقد لا يكون الفرد متوازنا في مزاجه وخلقه وبدرجة واحدة وفي كل الاوقات ويقع العقل mind تحت تاثير المحيط والموروث , والتربية لذلك يرى الفرد القواعد الاخلاقية في اضواء مختلفة . فقد يرى بعضهم الاخلاق المدنية صارمة او غير قوية في الجانب الوطني منها ويرى الاخر ان الواجب في تقديم المساعدات الانسانية هي محاولة عادلة . وهناك جانب الموضوعية في التعامل مع الحقيقة الاخلاقية على اعتبارها ظاهرة يشترك فيها الافراد ذات مستوى غير شخصي من تقييم الفعل والتشعب في الاحاسيس الاخلاقية فيها إظهار لاستحالة

استخدامها لاجل الوصول الى فهم الاخلاق نفسها.

وتتم دراسة الاخلاق بطريقتين
الاولى - محاولة الكشف عنها وفهمها .
الثانية - تقييمها من حيث الزمان والتغيّر .

فالطريقة الاولى تساعدنا في تمييز الحقائق الاخلاقية عن غيرها باعتبارها عقلانية وهي قواعد للسلوك . وتعود مثل هذه الدراسات بفوائد لاجل الحكم على الانساق المتناظرة للقواعد ومعرفة الخصائص المميزة لهذه القواعد الاخلاقية . فالقواعد تبين لنا تطابق هذه الخصائص للمضمون الجماهيري في قواعده الاخلاقية. على ان الوصول الى نتائج من هذه الدارسات لمعرفة الاختلاف بين القواعد الاخلاقية وغيرها من القواعد الاخرى والكشف عن قوة القواعد الاخلاقية والسيطرة والضبط على السلوك . ويؤدي استخدام فرض القواعد الاخلاقية بطريقة عنيفة الى نتائج غير مستحبة ويمكن ان نجد نتيجتين الاولى - ميكانيكية الفعل العنيف وتأثيره في الفرد ورد الفعل لان هذا الفعل هو مجموعة من العواطف.

والثاني - التتابع في العقاب كما هو الحال في حالة القتل . فمنع القاتل بالشروع في عملية القتل, وتتابع العقاب هو عملية التجانس بين الفعل والنتيجة (55) فالاخلاق حسب راي دوركهايم هي قوة ضابطة يمارسها المجتمع على اعضائه . وهذا التوحد في التوجيه هو دعامة هامة لاستقرار المجتمع . وتتميز الخصائص الاخلاقية بالخارجية , والتلقائية , والالزام والعمومية .

نظرية " ميد " Mead في الضبط

لقد بلور " جورج هربرت ميد " افكاره حول عملية الضبط الداخلي للفرد من خلال فهمه الى الذات self لكون وجودها مرتبط بالمواقف الاجتماعية social attitude . اما " الانا" I فهي مدركة الى نحن me . والسؤال الذي نطرحه هو كيف باستطاعتنا التمييز بين السلوك نفسه؟ فاين موقع " الانا" " I " ؟ من السلوك التي تكبح الـ " نحن " me " . فعندما يشعر الشخص ان له وظيفة او امتياز معين باستطاعته ان يشير الى " الانا " "I " ولكن الانا هي غير الـ " نحن" "me " ولا يمكن ان تحل محلها . وقد تكون الذات self غير الانا "I" والتي هي ضد الـ"نحن" me ولكن كليهما ذوات للفرد وقد يبرهن على واحدة ولا يبرهن على الثانية . فقد نتكلم مع انفسنا ولكن لا نراها " فالانا" " I" يكون رد فعلها للذات self التي تظهر من خلال اتخاذ مواقفنا من الاخرين, ومن خلال عملية التفاعل هذه نكون قد ادخلنا الـ " نحن " me وان رد الفعل هو يتعلق "بالانا" "I".

وقد تكون الذاكرة memory خير معالج لنا لتوضيح هذه العملية . فعندما احدث نفسي لكي اتذكر ماذا قلت, ولمعرفة العواطف التي صاحبت ذلك الحديث فان " الانا" " I" لهذه اللحظة هي حاضرة اما النحن me فيكون دورها في اللحظات القادمة.

" فالانا" " I" يمكن ان توضح لنا علاقة وظيفية , وبسببها هو اننا لا نستطيع ان ندرك كليا ما هو نحن وعندما ندرك ذلك فقد نعجب بافعالنا او العكس . " فالانا" " I"هي حاضرة في انطباعاتنا وهي المتحدث الثاني باسم الذات self , وقد يكون نحن me هي " الانا" " I" في وقتها المبكر. فان وجه سؤال مباشر الى اي فرد وعلى وفق خبراته الذي يجيب هو " الانا" " I" والذي تاخذ الدور بعدها نحن me . وقد لا تستطيع " الانا" "I" من الاستجابة وبصورة مباشرة وعندما ندخلها في التجربة فهنا وفي هذه العملية نواجه مشكلة الخبرة الشعورية لانها لا تدخل بالخبرة بصورة مباشرة . (56) تمثل " الانا" " I" استجابة

الكائن العضوي الى مواقف الاخرين بينما الـنحن me تمثل المواقـف المنظمة للاخرين. ورد الفعل لمواقف الاخرين ينعكس على " الانا" " I".

ولربما ياخذنا السؤال عن كيفية تكوين " الانا" " I" والـنحن me . فقد يبين الفرد في نفسه مواقـف الاخرين , وهذا الظهور يكون على شكل استجابة لجماعة منظمة . وحسب قدرات الفرد فان عليه ان ياخذ مواقـف الاخرين بـنظر الاعتبـار . وكنتيجة لهذه الوضعية يتكون الوعي الذاتي self - consciousness عند الفرد. وعندما ياخذ الفرد مواقف الاخرين فان (النحن me) تتكون عنده وبنفس الوقت هي تمثل الذات self .

فالفرد له مواقف وهو يعلم ماذا تريد منه الجماعة , وكذلك يتوقع تبعات الافعال التي يقوم بها لاشباع رغباته الفردية ويعلم بما يفترضه لمسؤوليته للوضعية التي هو فيها . ان هذا التنظيم لمجموع المواقف التي تكون الـنحن me وتستجيب " الانا" " I" لهذه المواقف وقد تكون هذه الاستجابة صحيحة او خاطئة . " فالانا" " I" هي الفعل الذي هو رد الفعل للوضعية الاجتماعية والتي تشكل سلوك الفرد وعن طريق العمليات تتولد الخبرة لدى الفرد. وعندما تتجمع الخبرة لدى الفرد يكون فعله مدروسا وقد يؤدي واجبه بصورة كاملة. فعندما يمتلك الفرد كل المواقف عن الاخرين , ويرغب في الاستجابة الى نحن me وللوضعية التي فيها الفرد فاستجابته هي " الانا" " I" . وتؤثر في سلوكه ولكن هذه الاستجابة تبقي غير معطاة له وانما تعتمد على "الأنا" " I" (57 .").

ان الضبط عملية داخلية اي هي استجابة الفرد الى رغباته وميوله والتعبير عنها عن طريق الانا. وتسهم الجماعة في توجيه هذه النزعات وعلى الفرد ان يوازن بينها وبين رغبات الجماعة لاجل التوحد والانسجام مع المجتمع . فعملية الضبط الداخلي تتطلب ضبط الرغبات والنوازع الفردية ومراعات الضوابط الجمعية والتوفيق معها .

① John Locke ② Hebbes ③ مونتيسيكو ④ هنري مين

النظام الطبيعي والضبط الاجتماعي

تتميز الحياة الاجتماعية للافراد كما يرى " جون لوك " John Locke في الحالة الطبيعية بالحرية في تنظيم انفسهم وبما يعتقدون به , وما يحرزونه من مكاسب مادية وما هو مناسب لهم ولحياتهم اليومية . وفوق كل ذلك هو التزامهم في احترام حرية الاخرين مثل ما يريدون احترام حريتهم . فالفرد حر في سلوكه والتزاماته وملكيته. وللانسان الحق في ان يعمل كل شيء وفيما يرى او يجد مسرّة له عدا تدمير نفسه او تخريب الاخرين او المساس بحريتهم. فالحالة الطبيعية ليست حالة حرب بين الانسان واخيه الانسان , وانما باستطاعة اي فرد ان يعاقب اي انسان اخر اذا كان يهدد القانون الطبيعي . وسادت هذه الحالة كما يرى " لوك " Locke في الحقبة التي سبقت قيام الحكومة . فالقانون الطبيعي هو قانون الحرية , وليس من صنع الانسان , وانما الانسان هو الذي اكتشفه . ان مثل هذه الوضعية فقط تخضع لسيطرة الالة والانسان يتعامل مع اخيه الانسان وفق قانون العدالة والمساواة فالقانون الطبيعي مستقل , واطاعته طبيعية (58) وتجيز الحالة الطبيعية للانسان ان يسلك ضروبا من السلوك على وفق مصالحه ورغباته , ويحاول اشباعها لتحقيق اللذة والسرور ولكن وفق الطريقة التي اقرها القانون الطبيعي وهي عدم التاثير او الحاق الاذى او الضرر بحرية الاخرين.

اما " هوبز " Hobbes فكان يرى ان الانسان مخلوق ذو عواطف , وتتحدد افعاله باسباب رئيسة كالرغبات والعواطف , وباسباب ثانوية اخرى . وتتجه عواطف الانسان نحو الحرب عندما لا يجد املا في اقرار السلم. فالعلاقة بين العواطف والسبب مفتوحة وقابلة للنقاش اذ ان هناك مؤثرات نوعية قد تثير عواطف الفرد . ويفترض " هوبز " ان الافراد لهم اهداف معينة يسعون الى تحقيقها, ويتماسك الافراد

بينهم لتحقيق الاهداف المشتركة . ذلك من الخطا ان نعتقد بان السبب هو يخدم العواطف او انه يضعف الغايات. فالانسان في بعض الاحيان يمتلك نفس العواطف التي يمتلكها غيره حتى في الاوضاع التي يكون فيها غير عقلاني على الرغم من ان النشأة العقلانية هي عاطفية , وقد لا تتكون هذه النشأة عند الفرد اذا لم يكن هناك سبب. ومن خلال هذا السبب فان البيئة , وطبيعة العلاقات الاجتماعية بالاخرين الذين يتشابهون معه , فقد تتم عملية التفاعل الاجتماعي كون الانسان كأننا عقلانيا . كائننا

فلدى الافراد عند "هوبز" رغبات يسعون الى اشباعها ولانهم عقلانيون قد يستخدمون القوة كوسيلة للسعادة واشباع الرغبات . فعندما يقوم الانسان باستخدام القوة التي هي رغبة يعلم ماذا ستقدم له القوة عندما يستخدمها. ولقد اطلق" هوبز" الحكمة الالهية على القوانين الطبيعية. فان كانت هذه القوانين هي اول قوانين عرفها الانسان فهي غير اخلاقية. فالافراد خلقهم الله كما هم عليه , ومنحهم السبب ومكنهم من بلوغهم اهدافهم, وقد يختلفون عن بقية الحيوانات . اما الحاجات فهي اجتماعية, وتتطلب وضع قواعد من الناس لاجل اتباعها على وفق الرغبة الالهية . فالقوانين الطبيعية هي قوانين الهية , ويفترض ان تكون جيدة في الحالة الطبيعية اكثر مما هو الحال في المجتمع السياسي . فهناك قواعد rules ولا بد للانسان من ان يلتزم او ينسجم مع هذه القواعد حتى في حالة غياب الحكومة. كما ان هناك حقوقا طبيعية , وان كل فرد بحاجة الى الاخرين , وهذه الحالة هي الاخرى فيها قواعد(59) وضوابط للسلوك . ويرجع افتراض الحالة الطبيعية عند " هوبز" وغيره من المفكرين الاجتماعيين الى ان تاريخ التنظيمات السياسية والدولة هو حديث مقارنة مع بدء الحياة الاجتماعية , وظهور التشكيلات الاجتماعية التي عرفتها المجتمعات البشرية .

وبنظر" مونتيسيكو" Montesquieu , الى البيئة الطبيعية على انها غير قابلة للتغيير, وعقد مقارنات بين نماذج مختلفة من المجتمعات معتقدا بان هذه المجتمعات تختلف فيما بينها, وان البيئة الطبيعية وبضمنها المناخ هي جزء مهم في التفسير , والتوضيح وليس كله . فالاختلافات الاساسية بين المجتمعات تاتي من اختلاف المناخ او الجغرافية . فقد لا يستطيع تغيير البيئة الطبيعية , ولا يمكن التخلص منها فهي ذات تاثير كبير على السلوك البشري. وهناك اعتقاد خاطئ لدى البعض من الذين يعتقدون ان مونتسكيو ربط بين البيئة الطبيعية على انها الاساس في تحديد كل مظاهر الحياة الاجتماعية . فهو يرى ان البيئة الطبيعية بما فيها المناخ لها تأثير على سلوك الانسان . (60) فالعوامل الطبيعية قد تلعب دورا مهما في تشكيل وبلورة سلوك الفرد ولكن كما يعتقد مونتسيكو ليس العامل الوحيد . فهناك ردود فعل عند الانسان ضد المناخ واهمها هي اولا- كيف تكون ردود فعل الفرد نفسيا نحو المناخ وسمي ردود الفعل هذه بالردود الاساسية . وثانيا - كيف يتكيف الانسان لمناسبة البيئة من حيث تشييد وبناء البيوت وتمتد هذه العملية الى التاثير في تشكيل التقاليد والعادات التي تتطلبها البيئة التي يعيش فيها الفرد.

ان نوعية الاخلاق والسمات الطبيعية كما يراها " مونتسكيو" والتي يحرزها الانسان عن طريق الاباء بعد مرورها الى الابناء فان تاثيرها ذو فاعلية منفصلة بتاثير الحرارة او البرودة. فالمناخ له تاثير معتبر على سلوك الفرد وبخاصة في التاثير على نظام الاعصاب nervous system بحيث يجعلهم يختلفون بعضهم عن بعض من حيث الفيزيقية والعقلية (61) فالنظام الطبيعي natural order يعني المشاركة الوجدانية , وكذلك القدرة الاجتماعية في الشعور بالعدالة او الامتعاض , او المنافسة تحت اوضاع محببة للعمل . فهو نظام لم يكن مصمما مسبقا على الرغم من وجود بعض الانظمة البعيدة عن الكمال في بنائها الاجتماعي. فعندما يظهر العدوان بين الجماعات , او المدن , فان الناس انفسهم يخلقون افكارا معينة , وتقاليد معتبرة , ويدخلون في تدريبات خاصة , وكل ذلك يجري تحت تاثيرات وحوافز stimulus مرتبطة بالاوضاع الجديدة . فقد لا يكون العدوان ضغطا من الناحية العملية , وانما هو جمهرة mass من الافراد , كما لا يشكل مجتمعا في نفس الوقت , ويتطور الراي العام , والقانون

والدين , وهذا النمو قد ياخذ وقتا. كما تنمو المؤسسات المنظمة عندما تكون هناك حاجة اليها . ففي مثل هذه الوضعيات يمارس الافراد ادوارهم من غير وجود ضغوطات تعترضهم . هكذا يتشكل النظام الاجتماعي بينهم وهذه هي طبيعة تطور النظام الطبيعي . (62)

ان النشأة التلقائية للحياة الاجتماعية على الرغم من انها افتراضية الا انها عرفت شكلا من اشكال النظام الطبيعي , فهناك شعور طبيعي وقوي بين الافراد الذين يرتبطون بالمؤسسات الجديدة . وتحصل مثل هذه التشابكات عندما تكون لديهم خطة للمساواة والاستفادة من المنافع لا على اساس القوة وانما على اساس المشاركة الجمعية . لذلك نمت مثل هذه المشاعر والاحاسيس عند تشكيل النظام الصناعي الحديث. وبعد ظهور مؤسسات جديدة لها واقع وتاثير في الحياة الاجتماعية كالمؤسسة الدينية , او الحكومة او بقية المؤسسات الاخرى ظهرت الحاجة الى الضبط الاجتماعي فعندما تكون هناك مصالح جمعية فلا بد ان يكون هذا الفعل الجمعي محميا بوساطة ضوابط , وقوانين وتعليمات . فعندما تظهر اساءة من فرد اتجاه المشاعر الجمعية قد يغضب الافراد الذين ينتسبون الى تلك المؤسسة وينشأ غضب مشترك common wrath , وقد يقودنا هذا الغضب الى الثار المشترك common vengeance عند الجماعة ان مثل هذه الضروب والاشكال من السلوك تدفع بالافراد الى وضع الضوابط الاجتماعية والاستعانة بها كوسيلة لترتيب وتنظيم الحياة الاجتماعية .

ويرى الاستاذ " هنري مين Sir Henry Maine في كتابه القانون القديم Ancient Law ان بدايات القانون هو وقف التهديدات التي قد تخلق الضرر بافراد المجتمع المحلي. وعندما تتكرر الاضرار وتتشابه في وقوعها , فان الدولة تثأر من الشخص المخطئ والمسيء بوساطة فعل مفرد مردوده على الشخص المعتدي wrongdoer وبهذا فان ثروة مشتركة تتكون من ردود الافعال هذه ولكل اساءة offence في المجتمع المحلي .

ثورة

ويتعاون افراد المجتمع المحلي على هذا المشروع العام , وعندما تكون فيه فوائد فان الجماعة تتعاون فيما بينها وتصبح هناك ضرورة لمشاركة الجماعة في هذا الواجب , وقد يبعد كل من لم يتفق على هذا الضغط الجمعي او يتهرب منه لان الارتباط به هو منفعة للجماعة , واجريت اختبارات للنسيج الاجتماعي social tissue للذين يسكنون في " ايوا" Iowa فوجدوا ان في حالة احتلال اراضيهم من قبل اقوام اخرى فان جميع الافراد يدافعون عن المجتمع المحلي. كما ان هناك اعتقادا بان التعاون الاجباري بمصر في اول العصر المملوكي , وكذلك في الصين قديما. حيث كان الاهتمام في هذه المجتمعات يتمحور حول اهمية الماء وذلك لاهميته في تكوين الدولة .

ولقد ظهر التعاون المعقد في المجتمعات الحديثة وذلك لحاجة الناس الى السلطة التي وظيفتها الاساسية هو مراقبة انجاز الافراد. ولا بد للسلطة ان تكون مصحوبة بالقوة ولهذا نجد اقتران التعاون بالضبط .

وعاش الالمان مستقلين ولكن عندما ذهبوا الى الحرب , فانهم اختاروا رئيسا لهم للحرب, واعطوه حق ممارسة القوة في الحياة والموت. وعندما تكررت الحروب واستدامت في المجتمعات البشرية , فقد اصبح لها رئيسا وقت الحرب وكذلك وقت السلم , واصبحت القوة التي يمتلكها المجتمع سببا في ايجاد الدولة وخلقها . كما ونجد المجتمعات المحلية التي تعيش بسلام , فالنمو الاجتماعي الذي اتسمت به مثل هذه المجتمعات في ان تعيش في نظام مفتوح. وترتبط مثل هذه المجتمعات المحلية مع غيرها . وتتعاون فيما بينها.

ونجد في الكثير من المجتمعات اشخاصا قد يضرون ويؤثرون في عملية النظام الاجتماعي, كالحمقى , والمجانين . فمثل هؤلاء الاشخاص لا يتمكنون في ان يضعوا انفسهم بديلاً عن الاشخاص الاخرين . فعندما تظهر جماعة فاسدة degenerates تشكل جزء مرعبا من مسيرة الحياة الاجتماعية . ومن هنا فان المجتمع بحاجة لعملية الضبط من الانحراف بعدما نمت المساعدات التبادلية بين

المجتمعات.(63)

فعملية الضبط الاجتماعي التي الفها الانسان في ظل الحياة الطبيعية كانت ذات طابع خاص وذلك لبساطة مثل هذه المجتمعات , وعدم ظهور المؤسسات ظهورا مستقلاً في ممارسة وظائفها. واصبحت الحاجة الى عملية الضبط اكثر عندما نمت المجتمعات وتحولت من شكلها البسيط الى المعقد. ولقد ظهرت الانحرافات وتنوعت النشاطات الاقتصادية والاجتماعية, وصارت الحاجة ماسة الى عملية الضبط ووضع قواعد للتنظيمات والمؤسسات الحديثة التي تطورت ونمت بحسب حاجات المجتمع . فالمجتمع الحديث , مجتمع , منظم , ومرتب وفيه تدرجات ومستويات مختلفة , وتترابط مكوناته بعضها مع البعض الاخر . ان هذه التشكيلات , والترتيبات هي بحاجة الى وسائل للضبط لاجل تنظيم الفعاليات والنشاطات البشرية ولجميع افراد المجتمع .